

كتب كاسية

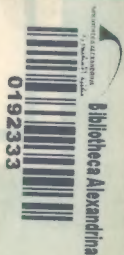
مجموعة عربية ١٠٠٪



الكتاب ٢٢٠

البعث العربي

بقلم
فرانسكو هاريلي



كتب سياسية
الكتاب ٢٢٠

الْبَيْعُ الْعَرَبِيُّ

بقلم
فرانسكو جابريلي

مقدمة

يستعرض المؤلف في كتابه « البعث العربي » تاريخ العرب وسيرهم في طليعة التقدم التاريخي وتالق نجمهم وحيويتهم وقوميتهم في العصور الحديثة حيث نهضوا وتالقوا .

فيبدأ منذ التاريخ الاول للعرب قبل الاسلام ويتتبع ظهور الاسلام واثره في العرب . وفتوحات العرب في تلك السنوات الاولى . وتوسعهم السريع المحفوظ خارج نطاق جزيرتهم حتى امتداد دولتهم من الاطلس الى اسبانيا الى سهول وسط آسيا ومن ارمينيا الى نابولي ، وخضوعهم للنفوذ الاجنبى لعدة قرون مبتدئا بالغزو والاحتلال التركى ، واضمحلال الحضارة العربية الاسلامية ثم اتصال العالم العربى باوروبا ونتائج هذا الاتصال لا في مجال القوة فحسب ، بل في مجال الفكر والحضارة ايضا . وبدء تاريخ العرب الحديث ، وحياء الاتحادات السابقة القديمة ثم الاحتلال البريطانى والفرنسى ، وظهور الحركة القومية ، وتطور القومية العربية وبدء الثورة العربية والكفاح العربى ، وحصول دول المشرق والمغرب العربية على استقلالها ، وظهور تكتلات واتحادات جديدة بين الدول العربية ونتاج التطور التاريخى الذى لايزال يسير قدما الى الامام . وتالق مثل الوحدة التى ترجع الى بداية حركة التحرير العربى ، وعلاقة العالم العربى بالكتلتين الشرقية والغربية .

الفصل الأول

الماضى العريق

لا يمكن كتابة تاريخ البعث العربى ، حتى ولو كان فى صورة موجزة ، دون معرفة الحالة التى تردى منها العرب ، والحالة التى بزغ فيها نجمهم مرة أخرى . ولذلك كان من الضرورى تبيان سجل انتصار العرب العظيم فى الماضى ، وزمن وكيفية اضمحلالهم فى العصور الوسطى حتى اتضح شكل القومية العربية قديما ، ومعرفة العلاقة بين شعور العرب القومى وبين دينهم الاسلام - تلك العلاقة التى غالبا ما تكون بعيدة كل البعد عن الوضوح بالنسبة للرجل العادى

ان التاريخ الاول للعرب قبل الاسلام يبين لنا ان هؤلاء الناس كان عندهم شعور قومى بدائى ولكنه كان واضحا . ورغم ما كان يحيط بهم من دول شرقية او رومانية اغريقية عظيمة ، واغنى منهم واكثر تعقيدا فى حياتها المادية والروحية ، فانهم ميزوا انفسهم فى ذلك الوقت وفيما بعد - عن اليونان والرومان ، والبيزنطيين وعن الارمن والفرس ، بالوعى والعزة القومية اللذين عبروا عنهما بصفة رئيسية فى شعرهم الذى يمثل الوثيقة الوحيدة لحياتهم الروحية التى وصلت الينا من هذا الزمن السحيق ، وكذا فى ترانيم الاسطورى التاريخى الذى لم يتخذ شكله المكتوب النهائى الا فى العصر الاول للاسلام . وفى هذا كله يميز العرب انفسهم عن العجم او غير العرب ، وبوجه خاص عن الفرس والروم ، او الفارسيين والبيزنطيين الذين كانوا اقرب جيرانهم قبل ظهور النبى محمد تماما كما ميز الاغريقون انفسهم فى الحضارة القديمة عن البربر

كان الاحساس الحى بالاستقلال والحرية هو ماميز الشعب العربى . وقد ساعد هذا الاحساس بفضل الصحراء ، فى صد كل هجوم ومحاولة للغزو الاجنبى ، ولكنه ساعد ايضا على منع تكوين

جماعات سياسية منظمة ودائمة . وبين تاريخ الشعوب العربية خلال عصر الوثنية أو الجاهلية هذا الشعور بالعزة القومية وعدم الرضوخ لاي نوع من انواع السلطة المنظمة الذي يكون ارفع من ذلك النوع من السلطة القبلية . ويتمثل الاستثناء الهام الوحيد من هذا النوع من الحكم في الدول الحاكمة الصغيرة التي تعمل كدول حاضرة تلك الدول التي تكونت في الشمال الشرقى والشمال الغربى وشبه الجزيرة العربية في نطاق امبراطورية الساسانيين والبيزنطيين .

ظهور الاسلام (٦٢٢ بعد الميلاد)

وفي هذه القبائل العديدة غير المنظمة البعيدة كل البعد عن اى اتحاد سياسى ومع ذلك تجمعها روابط الجنس واللغة والثقافة ظهرت رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم التي جمعت شملها في وحدة شاملة كبرى . قضى الاسلام على العزة الوثنية الجاهلية ، ولكنه كان عقيدة الامة العربية . لم يكن للعرب حتى ذلك الوقت رسالة مقدسة اما الان فقد ارتفعوا الى مستوى الناس الآخرين « اهل الكتاب » الذين انزل عليهم قبلهم ، كتابا مقدسا ، واصبحوا على قدم المساواة في علاقتهم بالله واحد حق . ومالبثوا ان اندفعوا بعد وفاة النبي خارجين من شبه جزيرتهم . فهم اناس اختارهم الله لينشروا قانون السماء في ارجاء المعمورة . وفي الوقت نفسه كُتبت لهم بالزبايا التي كفلها لهم وضعهم الممتاز « المادة الاولى للاسلام » كما سماه الخليفة عمر .

الامويون : (٦٦٢ - ٧٥٠ بعد الميلاد)

ليس من الضروري سرد التوسع السريع الملحوظ لفتوحات العرب في تلك السنوات الاولى بالتفصيل ففي غضون قرن من موت النبي محمد صلى الله عليه وسلم حكم خلفاؤه الذين كانوا على راس المجتمع الاسلامى من دمشق دولة امتدت من الاطلنطى واسبانيا الى سهول وسط آسيا . ومن ارمينيا الى نابولى وكانت الطبقة الحاكمة لهذه الدولة ، خلال هذه الفترة من العرب كلبية . وهؤلاء انخضروا معهم من شبه الجزيرة العربية نظامهم القبلى بعد اوانه ومنازعاته وحزائنه ، رغم تخفيف حدتها نتيجة لمبدأ المساواة في الاسلام وخضوع الجميع لسلطة الخليفة المركزية . وظل الخليفة

هو الحاكم الاسلامى الاعلى فى عهد الامويين (٦٦٢ - ٧٥٠)
والعباسيين (٧٥٠ - ١٢٥٨) .

كانت فترة حكم الامويين العصر الذهبى لقوة العرب حيث بلغ فيها توسع امبراطورية العرب «الى الحد الاقصى» . فامتدت سلطة الخليفة الفعلية - سلطته فى تعيين واقالة حكام المقاطعات - ومن قلب سورية الى اقصى حدودها المترامية الى اسبانيا وافريقية فى النصف الاول للقرن الثامن والى السند فكانت هذم المنطقة الشاسعة تنصاع لاوامر الخليفة .

ومع ذلك فلم يكن للعرب اى احساس واضح بانهم يعيشون فى عصر ذهبي . فكانت هذه الروح اقوى عامل ساهم بشكل طبيعى فى اخضاع الشعوب غير العربية

العباسيون (٧٥٠ - ١٢٥٨) .

كان العباسيون عربا ولكن كانت تساندهم الى حد كبير عناصر غير عربية فى الامبراطورية (وعلى رأسها الفرس) والاسلام فى صورته العالمية منبه الى الشعور القومى . ومن ثم ، فان انتقال السلطة بصورة عنيفة من الامويين الى العباسيين ، رغم انه لم يكن ذا اهمية على الاقل فى سنواته الاولى حيث لم يكن هناك الا تدهور ثقافى واجتماعى . وقد وضع نهاية للزعامة السياسية للعرب . فانفصلت اسبانيا فى الحال تقريبا مكونة دولة مستقلة . وتبعتها افريقية وغرب مصر والمناطق الشرقية كايوان ووسط آسيا . وبعد اقل من قرن من الاستمرار فى السلطة والجاه تميز عصر العباسيين فى الواقع بعصر التصفية المتتابعة للامبراطورية المتحدة ومع ذلك لم يفقد الاسلام كدين ، اى شئ من نفوذه فى اى من هذه المناطق بل انه اعتمد حتى العصور الحديثة . لكن لم يحدث ان كانت هناك دولة عربية تضم مرة اخرى داخل حدودها جميع الاراضى الاسلامية . وعلى العموم ، فان هذا الانحصر فى سلطتهم السياسية قد عوض الى حد كبير بانطلاق ثقافى عظيم وصل الى اوجه فى نفس عصر العباسيين تماما كما حدث لامبراطورية الاسكندر العظيمة . فقد كان اتهايمار الدولة المركزية وتكوين الوحدة الثقافية للحضارة الاغريقية هو ما تمخضت عنه هذه الامبراطورية فقد بقيت مقيدة الاسلام عالمية فى جميع مظاهرها ، ولم تمض حتى عندما حاول

الفرس والأتراك فيما بعد تسليط نفوذهم الأدبي على الأراضى الإسلامية
وفي الواقع استعاد العرب في الميدان الثقافي الرعامة التي افتقدوها
في الميدان السياسي .

وسرعان ما سقطت سلطة العباسيين الفعلية في أيدي متآمرين
من القصر بينما تردت دولتهم البيروقراطية التي أسىء إدارة شئونها
في هاوية من الإفلاس وفوضى اقتصادية واجتماعية خطيرة . ولكن
خلال الفترة الطويلة للغاية من حكم الخليفة العباسي التي امتدت
حتى منتصف القرن الثالث عشر والتي تميزت أيضا بازدهار الحياة
الثقافية - ظهرت بعض الدول العربية او العربية المستقلة واقعا
وأحيانا المستقلة اسميا أيضا ، وكانت جذيرة بذورها في حويلات
العرب

تأسيس بغداد :

بقيت العراق ، حيث أسس العباسيون فيها منذ البداية بغداد
كعاصمة جديدة للإمبراطورية ، تحت حكمهم المباشر أو حكم أولئك
الذين سيطروا عليهم شيئا فشيئا بالوصاية . ولم تعد سورية
بعد أن فقدت مكان الصدارة الذي كان لها تحت حكم الأمويين ، لم
تعد تعرف أي حكم عربي محض باستثناء بعض فترات قصيرة من
حكم الأمراء كالحمدانيين في القرن العاشر ولكن ظهر في مصر وفي
غرب مصر ، في المغرب وإسبانيا ، دول عربية كبرى في العصور
الوسطى لامعة في قوتها وحضارتها ، متحررة من كل رباط بما بقي
من سلطة خليفة بغداد . فكان في مصر الفاطميون . فشهدت في
عهدهم أبرز حكم إسلامي حكم على ضفاف النيل وكان عاملا هاما
في القرن العاشر والحادي عشر في تاريخ البحر الأبيض المتوسط
وكان له الفضل في دفع الفن والثقافة الى الإمام .

حكم العرب في اسبانيا وشمال افريقية :

تطابق اعظم فترات الفاطميين تلك الفترة من تاريخ الدولة
العربية الكبرى الأخرى في الغرب . حيث استعاد الخليفة الأموي
قرطبة التي وحدث لاكثر من قرنين جميع مسلمي اسبانيا وواجهت
وهاجمت أوروبا المسيحية من الغرب وكونت أصل العصر العظيم
للحضارة العربية الاندلسية وبعد سقوطها في بداية العصر الحادي
عشر ، تفتت اسبانيا الإسلامية الى عدد من الإمارات الصغيرة .

ثم انتقلت السيطرة على اسبانيا وعلى جزء كبير من شمال افريقيا الى حكام من سلالة البربر ولكنهم عربوا تماما .

كان العرب قد اتصلوا «باهل شمال افريقيا» فدخلوا في الاسلام واندمجوا ثقافيا . كما اتصل العرب بعنصر آخر في الجهة الشرقية وهو العنصر التركي الذي قدر أن يكون له تأثير اكبر في تاريخهم وبعد ان ساند الفرس ثورة العباسيين . واصبح لهم لفترة قصيرة مكان الصدارة في بغداد . «سحبوا الى حدودهم وهناك عاشوا حياتهم السياسية والثقافية الذاتية في ظل الاسلام . وانتهى مطاف اثرناك وسط آسيا من البربر الذين دخلوا في الاسلام بعد الغزو العربي . انتهى مطافهم بالسيطرة على جميع انحاء المجتمع العربي الاسلامي في الشرق . بدأت هذه العملية في القرن التاسع واستمرت دون انقطاع في القرون التالية حتى دخول العرب نهائيا في اطار الامبراطورية العثمانية .

ولكن قبل الوصول الى هذه النهاية سارت العلاقات العبرية التركية بصورة مختلفة ومعقدة . فالأتراك تغفلوا بشكل مطرد في البنيان العسكري للخلافة ثم في الدول التي انسلخت منها او حلت محلها . حتى استطاعوا ان يقيموا حكمهم ودولهم التركية . وظل السكان عربا واللغة والثقافة عربية ولكن الطبقة الحاكمة كانت تركية

وعندما قام الصليبيون بمخاطرتهم في نهاية القرن الحادي عشر تصدى لهم ابطال الاسلام العظام من امثال صلاح الدين . كان صلاح الدين مؤسس حكم الايوبيين ودولتهم التي كانت عربية تماما في ثقافتها وادارتها المدنية . الامر الذي ساعد على انزال الهزيمة بالصليبيين في فلسطين ومصر وجعل من اتحاد سورية ومصر امرا ممكنا واذا اخذنا بالاسرة الحاكمة فلم نجد في القرن الثاني عشر اية دولة عربية كبرى . ولكن كلا من الايوبيين والمماليك يمكن في الواقع اعتبارهما عربا طالما أن غالبية رعاياهم عرب . وان لغتهم في الثقافة السائدة في بلادهم تبعا لذلك عربية .

ويمكن اعتبار دولة المماليك المصريين الذين احتلوا في منتصف القرن الثالث عشر تقريبا مكان الايوبيين وظلوا على هذا الحال حتى اوائل القرن السادس عشر . اخر دولة عربية مستقلة تخلفت عن الخلافة القديمة . وفي عام ١٦٥٨ قضى المغول على آخر آثار الخلافة

وضموا العراق التي كانت مركزا لحضارة العباسيين الزاهرة الى
ممتلكاتهم الفارسية . وفي غرب مصر قسم شمال افريقية على
حكام من نسل عربي بربري .

خضع العرب للنفوذ الاجنبي لمدة قرون . ولكنهم لم يقهروا
كلية . فلقد مر بنا الآن في العصور الحديثة ، كيف أنهم نهضوا مرة
اخرى وتالفوا .

كان هذا هو ميراث الماضي الفني والشعور الذي يكمن وراء
البعث العربي الحديث . ولكن قبل أن يبدأ العرب في اكتساق مرة
اخرى حتى يصلوا الى قمة الجهد ، عليهم أن يتناسوا مرارة الانهيار
المؤلم الطويل

الفصل الثاني

الغزو والاحتلال التركي

يمكن ملاحظة أعراض الاحتلال الأولى بعد عام ١٠٠٠ وبدأ بوصول الاتراك من الشرق الذين أعلنوا رسمياً الوصاية على الخليفة العباسي في القرن الثاني عشر تحت حكم السلاطين السلاجقة المماليك (١٢٥٠-١٥١٧) :

شهد القرن الخامس عشر والسادس عشر ، عصر النهضة في أوروبا ، الشعاع الأخير للعالم العربي في الشرق . وانتقل مركزه من العراق - التي أنهكت قواها والتي سادها البربر الى مصر وسورية اللتين اتحدتا (١٢٥٠-١٥١٧) .

لم يأت المماليك مباشرة من وسط آسيا كما فعل الاتراك خلال عهد العباسيين والسلاجقة ولكنهم جاءوا من مناطق أقرب الى الغرب ، من شواطئ البحر الاسود والقوقاز وجنوبي روسيا . ومن تلك المناطق جاء التيار المتدفق المنتظم من العبيد الذين ملأوا مراكز حرس الايوبيين . وبالتدريج رفع هؤلاء الحرس أنفسهم الى قمة البنيان العسكري وجهاز الدولة . وتحقق توليهم السلطة العليا أما عن طريق القوة أو بموافقة زملائهم في السلاح .

وهؤلاء الاتراك والشراكسة غالباً ما كان تعليمهم عسكرياً محضاً . وأحياناً لم يستطيعوا حتى التحدث بلغة رعاياهم .

وعندما استمر مجيء المماليك الى مصر من البحر الاسود لمدة طويلة ، لم ينسوا أبداً لغة بلادهم . وأحضروا معهم النظم والمعدات والالقاء التركية والفارسية واستخدموها في الشؤون العسكرية والقضائية .

وفي الوقت نفسه كانت أيام امبراطورية المماليك معدودة . فبعكس الاتراك العثمانيين ، كانت بطيئة في تعلم واستيعاب نتائج

العلم الاوروى مثل الاسلحة النارية ، وادى هذا التخلف الى نهايتها المفجعة فى صراعها مع القومية العربية الكبرى الحديثة .

الأتراك يصابون : (١٥١٦) :

وضع التطور الملحوظ للاستعمار العثمانى نهاية عاجلة لدولة الممالك . فبعد معركة معهم فى أغسطس ١٥١٦ بالقرب من حلب لم تستمر إلا ساعات قليلة أسفرت عن القضاء على جيشهم القديم الذى تشتت شمله أمام مدفعية العثمانيين ، وفتح الطريق أمام السلطان سليم للاستيلاء على سورية . وبعد أشهر قليلة (فى يناير ١٥١٧) سقطت مصر أيضا وبدأت أربع قرون من الاحتلال العثمانى

كانت السيطرة على سورية والعراق نظرا لقربهما من حكومة القسطنطينية مباشرة عن طريق حكامها الباشوات تساندهم فى ذلك حاميات تركية .

أما فى ليبيا وتونس والجزائر ، فان السيادة العثمانية سرعان ما أصبحت غير مباشرة رغم إعادة التاكيات أو المحاولات القصيرة التى بذلت من وقت لآخر لممارسة حكم أكثر مباشرة .

وتحت هذه الأشكال وتلك الدرجات المختلفة من السلطة للإمبراطورية العثمانية أخضعت الإمبراطورية العثمانية الجزء الأكبر من العالم العربى لسلطانها فيما بين القرن السادس عشر والقرن العشرين . وكانت هذه الفترة بالنسبة للعرب أسوأ فترة فى تاريخهم فى عصورهم الوسطى الحقيقية .

كان شغلها الشاغل هو الاستقلال الاقتصادى . وكان حكمها أسوأ مثل للحكم فى القارات الثلاث . وإذا أراد أحد أن يجد نوعا من التبرير للحكم العثمانى . فانه لا يستطيع إلا أن يقول انه وزع مساوئه بالتساوى دون تمييز ، على مناطق نفوذه ، وأن الأموال الاقتصادية والاجتماعية وطرق حكم الدول التى خضعت له لم تكن أفضل كثيرا - فى العالم العربى مثلا - من مثيلاتها فى دولة الممالك القائمة التى كانت موضع كراهية العرب وازدراءهم .

الفصل الثالث

القرن التاسع عشر

استيقظ العالم العربى من سباته العميق الذى دام ثلاثة قرون فى مطلع القرن التاسع عشر . وبينما واجهت أوروبا الغزوات العثمانية فى القرون الاولى بقوة متعادلة . فانها أثبتت الآن تحت قيادة نابليون انها تفوق الامبراطورية العثمانية فى الناحية التكتيكية بدون قياس وفى نظرتها المدنية والسياسية المتطورة تطورا كاملا . وكانت الحملة النابليونية على مصر بمثابة فجر حياة جديد طلع على العالم العربى بعد أن كان غارقا فى سبات العصور الوسطى العميق .

ورغم أن الآثار المباشرة لم تدم أكثر من ثلاث سنوات ، فلا شك انها كانت بداية لكل التطور الروحي والمادى الذى تلاها للعرب فى القرن التاسع عشر . وهذا الاتصال بين الشرق والغرب لافى مجال القوة فحسب ، بل أيضا فى مجال الفكر والحضارة أصبح منذ هذه اللحظة عاملا رئيسيا فى تاريخ العرب الحديث .

البريطانيون يحتلون مصر (١٨٨٢) :

فى عهد توفيق وفى الاسكندرية فى صيف عام ١٨٨٢ كان التعبير عن سخط كامن طويل تاجج فى صدور المصريين لعدة سنوات ضد التدخل الاجنبى المتزايد ، هذا السخط الذى عبر عنه عرابى باشا ، فكان هدفه هو ان يفرض على الخديوى سياسة أكثر حزما لمقاومة التدخل الاجنبى . ثم كانت معركة التل الكبير نهاية للاستقلال السياسى لدولة محمد على وبدء الاحتلال العسكرى البريطانى .

لم يحدث تغيير رسمى فى بنى الدولة التى استمر على رأسها الخديوى « توفيق ثم عباس الثانى من عام ١٨٩٢ » ومجلس وزراء وبرلمان ولكن السلطة التنفيذية الفعلية كانت فى يد المندوب السامى

البريطاني تسانده قوات الاحتلال ومدفعية الاسطول الملكي .

قام البريطانيون بوظيفة الاستعمار فقاموا بعدة مشروعات ادعوا انها تهدف الى اصلاح . ولكنهم في الوقت نفسه امدوا الشعوب القومية المصرية بدافع جديد جعله يدخل في صراع مع الاحتلال الاجنبي حتى استطاع ان يطرده في النهاية من البلاد .

عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) :

كان السلطان الاحمر عبد الحميد الثاني من اكثر طغاة التاريخ اجراما وفي عهده عانت لبنان وسورية ، المسيحيون والمسلمون والعرب والأتراك على السواء ، وكل جنس تابع آخر في الامبراطورية اقصى انواع الاستبداد والظلم . كان غرضه الحقيقي ، من وراء انشاء دولة عربية شاملة ، الاستبداد والقمع لكل انواع التقدم والحرية والاستقلال . .

وكان من نتيجة هذه السياسة الاستبدادية ان هاجر كثير من الشباب العربي المنقف الى مصر ، حتى رغم الاحتلال البريطاني . والى الأمريكتين بدافع اقتصادي اساسا .

اصول الفكر العرب السياسية :

وهكذا كانت ثقافة العالم العربي ومثله السياسية الجديدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتاج مقاومة الاحتلال في صورته واشكاله المختلفة وقد ظهرت في بادىء الامر في المناطق المركزية . مصر وسورية . فقط وبعد سنوات كثيرة ظهرت انبعاثات مشابهة في المناطق العربية المتاخمة لهما ورغم ان البلدين كانت لهما مصائر سياسية متحدة الا انهما قد شكلا دائما في العصور الحديثة وحدة ثقافية ، القلب الحقيقي للعالم العربي . كانت الفترة الاخيرة من القرن التاسع عشر بالنسبة للعرب كما كان القرن الثامن عشر بالنسبة لاوروبا . اى كانت عصر النهوض والتوسع في ثقافتهم التقليدية وتنوعها وتفتح آفاق جديدة ، وازدهار مثل جديدة .

كان المثل الأعلى لزعماء التطور العربي الاسلامي الحديث في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر هو ان اعادة تفسير وتقديم الاسلام في شكل جديد صافيا ومتمشيا مع حاجات الحياة الحديثة

ومجتمع من الشعوب الإسلامية المتحررة من كل عبودية داخلية وخارجية . وحكم أنفسهم عن طريق نظم نيابية ، وأبرز هؤلاء جمال الدين الافغانى وتلميذه محمد عبده .

وقد كان لهما التأثير القوى على تطوره ، فالعرب يشعرون بكرامة اصلهم وبعظمة ماضيهم وبالقيم الابدية لايمانهم .

وبالإضافة الى ذلك .. كانت هناك فى السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حركة دعائية أكثر وعياً بالمشكلات السياسية والاجتماعية . ظهرت أولاً فى مصر ولسكن ساهم فيها السوريون بنصيب وافر وكان هذا العصر هو العصر الذهبى للصحافة العربية . فمن الصحف الدورية « الهلال » و « المقتطف » ومن الصحفيين البارزين السوريين الكواكبي وأديب اسحق وجورجى زيدان ومن البارزين المصريين قاسم أمين وعبد الله النديم ومحمد عبده . ومن الكتب « الاستبداد » للكواكبي و « تحرير المرأة » لقاسم أمين .

ولا زال التاريخ يستطيع ان يحيى الصحافة العربية فى اواخر القرن التاسع عشر التعبير الهام الأول للبعث العربى فى الميدان الثقافى أكثر منه فى الميدان السياسى المقيد بايمانها النبيل بما عرف عادة بمثل القرن التاسع عشر . وهى حرية الفرد والشعوب . والاخوة الانسانية . والتقدم المستنير والديمقراطية . رغم أن الغرب كان فى ذلك الوقت يناقض هذه المثل عملياً فى علاقاته « بالشعوب الملونة » ، ومنها العرب .

الفصل الرابع

الحركات القومية حتى عام ١٩١٤

وإذا تحولنا عن الميدان الثقافي حيث اشتركت مصر وسورية معا في احياء التراث الادبي والفكرى المشترك ، للبحث السياسى الخاص . فان علينا أن نعالج المحاولات الاولى لتحقيق الحركات القومية فى مصر ، التى أصبح لها الآن كيان ، بصورة منفصلة عن المناطق الاخرى من الاراضى العربية الخاضعة للإمبراطورية العثمانية .

كان التاريخ المحدد الذى ظهرت فيه الحركات القومية والمدنية من العرب هو عام ١٩٠٨ . وهو العام الذى وضعت فيه ثورة تركيا الفتاة نهاية لاستبداد عبد الحميد . وقبل هذا التاريخ لم يكن هناك مايدل على وجود حركات ثورية - فى نطاق الامبراطورية فيما عدا اوجه نشاط غلمضة لبعض الجمعيات السرية . . كذلك التى وجدت فى عام ١٨٧٥ تقريبا . وكان مركزها فى بيروت . وهذه الحركة كانت تنشر مبادئ الحرية والدستورية اكثر منها مبادئ القومية والاستقلال .

وبسقوط السلطان الاحمر ظهرت آمال كبرى بين العرب وبين جميع الاجناس الاخرى غير العربية فى الامبراطورية .

العرب وزعماء ثورة تركيا الفتاة :

وعد اعضاء لجنة الوحدة والتقدم لتركيا الفتاة بالحرية الفردية والجماعية وبالنظم النيابية الحرة او بالاختصار ، بالديمقراطية . ولكن ما ان سقط الاستبداد المركزى حتى ظهرت ، كما كان من الممكن توقعه . مطالب الاجناس غير التركية (لا العرب فحسب ، بل واليونان والسلاف والارمن والاكرد ايضا) تطالب باكثر مما

اعلنته ووعدت به اللجنة ولقد وافقت اللجنة على منح العسرب
بصفة خاصة بعض الحريات المدنية وحق التمثيل في البرلمان دون
منحها الحكم الذاتي الكامل او الاسلأخ من الدولة العثمانية التي
صمم الاتراك على الاحتفاظ بوحدها . ومن هنا جاءت خيبة أمل
العرب وقتلهم بعد تحمسهم الأول للثورة ، وكذا عدم تأكيد الهدف
فيما بين عام ١٩٠٨ والحرب العالمية الأولى .

ومن هنا ظهرت جماعات سرية داخل وخارج الامبراطورية
تهدف بوضوح الى الانفصال ، منها حزب الامركزية العثماني الذي
أسسه سوريون من المهاجرين في مصر أثناء حروب البلقان عام
١٩١٢ ، ومنظمة العرب الفتاة في باريس ثم في سورية فيما بعد
بزعامة مثقفين سوريين ومصريين وهذه الجماعات وما شباهاها
ناقشت علنا أمر تكوين دول عربية مستقلة تماما ومتحررة من كل
رباط يربطها بالقسطنطينية .

وفي عام ١٩١٣ انعقد مؤتمر العسرب في باريس وطالبه بضرورة
الاصلاأات الداخلية ومنح حرية أوسع لكل من العرب والاجناس
الأخرى واستخدام اللغة العربية كلفة رسمية . واختيار رسميين
عرب للادأى العربية وقصر استخدام القوات العسكرية العربية
على الأراضى العربية . غير أن هذه المطالب ضرب بها عرض الحائط

لقد شعر الاتراك أنه لا يمكن أن يكونوا سبباً في تصفية
الامبراطورية العثمانية ولكنهم شعروا بأنه من الضروري لم شملها
محتفظين لهم بمركزهم في قيادة الاجناس التابعة . لقد استماتوا
في حروب ليبيا والبلقان ضد أى انشقاق في الامبراطورية . وكان
رد فعلهم المنطقي لمطالب القومية المصرية المتزايدة القمع وحل
جميع الاحزاب السياسية العربية .

لم تسمح الظروف الصعبة للغاية التي عمل في ظلها الوطنيون
السوريون لآية حركة سياسية كبرى بالظهور ، ولا لآية شخصية
بالبروز . أما في مصر فكان الحال على عكس ذلك . فخلال نفس
الفترة تطورت الحياة السياسية بحرية أكبر وكان نتيجة النشاط
العلى للاحزاب أن ظهر كيان لشخصيات مماثلة للبعث العربى ،
كان أول حزب سياسى مصرى هو الحزب الوطنى الحر الذى
أسس في عام ١٨٧٨ بزعامة محمد عبده الذى تتلمذ على يد جمال
الدين الأفغانى . وانضم اليه من المدنيين عبد الله التلهم وسعد

زغلول زعيم المستقبل فيما بعد الحرب . ومن العسكريين سامى البارودى وعرابى باشا وكان برنامج الحزب واضحا من اسمه . فقد ايد مقاومة التدخل من الخارج وضرورة انشاء نظام برلمانى فعال . ووضع دستور للبلاد . ولذلك فانه قبل أن يدخل فى صراع مع البريطانيين ، دخل فى صراع مع الخديوى اسماعيل ثم خليفته ابنه توفيق . فكان أول اجراء تجبر حكومة « البارودى-عرابى » الخديوى على اتخاذه هو حل المجلس الاستشارى الشكلى فى عام ١٨٨٢ واعلان قانون الانتخاب على أسس أوسع . ولكن تدخل البريطانيين ادى الى محاكمة ونفى الزعماء الوطنيين .. وبذلك انتهى الحزب .

مصطفى كامل (١٨٧٤ - ١٩٠٨) .:

واصل تنفيذ البرنامج الوطنى الذى حاول عرابى ووطنيون آخرون تنفيذه فى عام ١٨٨٢ والرجل الذى يمكن اعتباره المؤسس الفعلى للحركة الوطنية المصرية هو مصطفى كامل ، كان أكثر المنادين بمقاومة الاحتلال البريطانى تحمسا ، وكان أكثر المدافعين عن مبدأ السيادة الوطنية تصميما .

كانت النقط الاساسية فى برنامجه السياسى الذى اعلنه فى خطبه الحماسية وفى صحيفة « اللواء » (التى أنشئت فى عام ١٩٠٠) وفى حزبه فيما بعد الذى أطلق عليه اسم « الحزب الوطنى » والذى أسس رسميا فى عام ١٩٠٧ ، هى انتهاء الاحتلال والتدخل الاجنبى ، وتشكيل حكومة دستورية ، وهى فى جوهرها نفس المبادئ التى حارب من أجلها الوطنيون فى عام ١٨٨٢ ولكنهم خسروا المعركة ، وزيادة على ذلك أراد لتحقيق الاستقلال الكامل لبلاده اتحاد كل مواطنيه سواء اكانوا مسلمين أو اقباط . ورغم تصميمه على المطالبة بسحب جميع القوات الاجنبية من وادى النيل ، فانه اكد الحاجة الى الاتفاق والصداقة بين المصريين والاجانب .

وقد يبدو من الدهشة فى منتصف القرن العشرين أن اوجه نشاط مصطفى كامل صلات فى وضع النهار متمتعة بحرية كاملة . حتى انه عندما وقعت حادثة دنشواى فى عام ١٩٠٦ وثورة الراى العام المصرى ضد المحتلين استطاع مصطفى كامل أن يعبر عن

غضبه للاحكام غير العادلة في صحيفته وفي صحف في الخارج دون ان يلحق باذى . ولذلك اعتبره « شهاب المصريين زعيمهم ، وانضموا اليه في كفاحه » ، ووافته منيته في عام ١٩٠٨ ، ولا شك ان الحكم التاريخي العادل لابد وان يعترف به كبشير للبعث السياسى لمصر الحديثة . وكزعيم يتمتع بصفات الفروسية والكرم والمثالية وكافضل ميراث خلفه القرن التاسع عشر .

لم يعيش الحزب الوطنى طويلا فسرعان ما انحط في عام ١٩١٢ بعد اكتشاف مؤامرة ضد الخديوى وكانت حياة « حزب الامة » المنافس الاكثر الذى تولى زعامته محمد عبده أطول بقليل فعاش حتى ١٩١٤ . ولكن آراء كلا الحزبين بعثت من جديد في حياة مصر السياسية بعد الحرب ثم خرج من صفوف حزب الامة حزب الوفد برعامة زغلول . لم يشترك مع مصطفى كامل في شبابه ولكنه حمل رسالة الزعيم الوطنى الشاب نحو الانتصار في تاريخ مصر الحديث

القومية العربية في عهدها الاول :

غالبا ما كانت القومية العربية الاولى في سورية ومصر (وفى اى مكان آخر) تنهم بانها تجاهلت تماما المشكلات الاجتماعية . ولما كانت تمثل صفوة المدن والطبقات الوسطى ، فقد ركزت اهتمامها كلية على مسائل الحكم الذاتى والاستقلال القومى والنظم النيابية دون ان تبدو انها مهتمة بالفروق الاقتصادية الخطيرة ومظاهر الظلم الاجتماعى التى اصابته الشعوب العربية وجميع شعوب الشرق لعدة قرون .

وبينما كانت البذور الاولى للبعث تنمو في سوريا ومصر ، كان المغرب العربى يقع نهائيا تحت السيطرة الاوروبية الكاملة في السنوات العشر الاولى من القرن العشرين .

وهكذا شهد العالم العربى في السنوات الاولى من القرن العشرين المظاهر الاولى للبعث العربى .

الفصل الخامس

الحرب العالمية الأولى ونتائجها

يمكن اعتبار حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ بداية انتحار أوروبا سياسيا في نظر العالم الشرقى بأسره . فقد رأت الشعوب الشرقية الغرب الذي سادها بكل نفوذه الفنى والادبى ، ينقسم الى معسكرات متنافسة ويمزق شمل نفسه بنفسه .

اقحم العرب في هذا الصراع . وكان من الطبيعى ان ياملوا في الاستفادة منه باستعادة حريتهم التى فقلوها . وفضلوا الاستقلال الوطنى وتحرير أنفسهم من الحكم العثمانى ، تلك الرغبة التى جاشت في صدورهم طويلا عن التضامن العربى الشامل الذى دعت اليه الامبراطورية العثمانية عندما دخلت الحرب . اما وقد اخلف المنتصرون هذه الوعود قايما وقالبا فكان هذا كطلا جسيما يرتكبونه بعد الحرب العالمية الاولى الامر الذى خيب رجاءهم وولد فيهم الكراهية الشديدة تجاههم بعد أن ضحوا بدمائهم ومنحوهم كل تاييد .

كانت اكثر البلدان العربية التى عانت كثيرا خلال الحرب العالمية الاولى هى مصر وسوريا اللتان خضعتا للحكم العسكرى التركى - الالماني القاسى الذى ادى الى أزمة اقتصادية حادة للغاية ونقص شديد فى الغذاء . لقد أصبحت البلاد العربية ميدانا هاما للمبيعات العسكرية الدولية .

سورية والحرب :

وفجأة وجدت سورية - التى كانت مركز الحركات العربية التى نادى بالحكم الذاتى ، نفسها مغلوقة على أمرها نتيجة للجهود البائسة التى بذلها جمال باشا الذى قام باتخاذ أساليب دكتاتورية كالقتل ، بحجة الدفاع عن امبراطوريته المهتدة . فبنت سورية

لفترة لا حول لها ولا قوة لخضوعها لقانون الحرب العثماني .
ولكن بزعامة الثورة العربية تولاهم آخرون في بلدان أكثر بعدا
وفي ظروف أكثر ملاءمة .

العربية السعودية والحرب :

كان في شبه الجزيرة العربية نوعان من السلطة : الحكم التركي
الذي ثبت أقدامه هناك في القرن السادس عشر ، وسلطة العشائر
المحلية وشيوخ الإمارات المختلفة ، وكان أبرزهم شريف مكة .
ملوس هذا الأمير السلطة بالورثة منذ القرن الثالث عشر رغم أنه
كان يخضع للسيادة العثمانية العليا .

لم يكن حسين الأمير في ذلك الوقت غير متأثر بنيران الثورة التي
كانت تجتاح العالم العربي . وفي عام ١٩١٥ بينما كان الاتراك
يطالبونه بمساهمته الفعالة في الحرب المقدسة التي أعلنت أخيرا ،
بدأ يقوم باتصاله الحذر مع الحلفاء لاستطلاع رأيهم في قيام ثورة
عربية .

دارت المفاوضات مع بريطانيا عن طريق المندوب السامي في
مصر ، مكماهون ، فيما بين يوليو عام ١٩١٥ ومارس عام ١٩١٦
وقد أدت الى تفاهم كامل . وفي يوليو عام ١٩١٦ أعلن شريف مكة ،
بعد أن عاد إليه فيصل الذي كان رهينة في سورية ، أعلن الثورة
العربية بجانب الحلفاء وسرعان ما أعلن نفسه حاكما على كل
الحجاز تقريبا ، فيما عدا المدينة حيث ظلت هناك حامية تركية ،
تحاصرها لفترة طويلة . ومن ثم ، كان الواجب الأخير للقوات
الهاشمية بقيادة فيصل هو التقدم الى الامام من الصحراء متجهة
الى خط القتال الألماني - التركي الذي امتد في فلسطين من غزة
لجبر سيع في محاولة لتعطيمه .

وكانت هذه هي الجبهة الوحيدة التي حارب فيها العرب كوحدة
ذاتية وتحت قيادة فيصل بمساعدة لورنس وضابط عربي عراقي ،
« جعفر المسكري » حاربت قبائل الحجاز والاردن في الصحراء
العربية السورية .

وضمت الحملات الانجليزية الفرنسية التي شنت في عام ١٩١٧
- ١٩١٨ نهاية لحكم تركي دام أربعة قرون وذلك يسقوط دمشق

واستيلاء فينصل ولورنس ورجالهما عليها في اول أكتوبر عام ١٩١٨
بعد أن ضحى العرب كثيرا .

ولا شك أنه كان من الممكن إذا صدق الأمير الهاشمي الذي دخل
في ذلك اليوم عاصمة سورية كما فعل أجداده في أيام الانتصارات
العربية الكبرى ، كان من الممكن إذا صدقت الوعود التي قطعها
الحلفاء على أنفسهم والاتفاقات التي عقدها معه أن يكون هذا
الانتصار العسكري بداية للعولة عربية حرة كبرى .

الأراضي الموعودة :

ولكن ماهي بالضبط هذه الوعود وتلك الاتفاقات ؟ في الرسائل
المبتدلة بين المنسوب السامي البريطاني في القاهرة ، مكماهون
وشريف مكة ، حسين ، في عام ١٩١٥-١٩١٦ (والتي نشرت بالكامل في
عام ١٩٣٨) يبدو حسين مقتنعا بأنه وصل الى تفاهم تام مع
بريطانيا حول إنشاء دولة عربية متحدة تشمل منطقة الهلال
الخصيب بأسرها وشبه جزيرة العرب ، أي في كل الأراضي العربية
من الامبراطورية العثمانية . ووضع أيضا شروطا خاصة بشأن
المنطقة الساحلية من سورية (أي لبنان) لكونها ذات مصلحة معينة
لفرنسا ، وبسبب العراق (وخاصة بغداد والموصل) حيث توجد
لبريطانيا مصالح هناك . وبينما رفض حسين كل المطالب الانجلو
فرنسية من ناحية المبدأ ، وافق على مناقشة هذه الشروط فيما
بعد

ومن ناحية أخرى لم تذكر اية كلمة عن فلسطين ، فلم يشر
اليها في الملاحظات البريطانية اما عمدا او بالمصادفة . وبعد مضي
عشرين سنة اعلن مكماهون في خطاب له أرسله الى صحيفة التايمز
بأنه حتى لم يفكر في ذلك الوقت بجعلها ضمن الأراضي الموعودة ،
فهي تخضع منطقيا وجغرافيا للعرب الامر الذي يجعلها جزءا من
أراضيهم .

وانتهى الامر الى تقسيم الأراضي العربية من الامبراطورية
العثمانية طبقا للمصالح الانجلو - فرنسية . وادى ذلك الى وجود
منطقة عربية في الهلال الخصيب : (تضم لبنان والمنطقة الساحلية
من سورية) ومنطقة أخرى شرقية تضم الجزء الأكبر من العراق .
وفي هاتين المنطقتين تصير السلطة فيها ، سواء اكانت مباشرة او

غير مباشرة لانجلترا وفرنسا اما فلسطين فقد وضعت كلها باستثناء ميناءى : عكا وحيفا اللذين احتفظ بهما لبريطانيا . تحت الوصاية الدولية . وفى نوفمبر عام ١٩١٧ أصدرت الحكومة البريطانية قرارا له علاقة بالاحداث المستقبلية لفلسطين ، وهو القرار المعروف بوعده بلفور . وبمقتضى هذا الوعد يسمح بإنشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين حيث تركزت آمال وأهداف الصهيونية منذ امد طويل

لم تكن لدى أمريكا القوة ولا الرغبة فى معارضة طيقتها ، انجلترا وفرنسا . وقد احتاجت المصالح البريطانية الى السيطرة الحازمة على العراق الذى يعتبر من المناطق الحيوية وذات الاهمية الاستراتيجية الكبرى ، حيث أنه يقع فى الطريق الى الهند ، وحيث أن آبار الزيت فى الموصل تقع فى أراضيه . وكانت فرنسا أكثر اهتماما بادعاءاتها القديمة فى نشر الايمان والحضارة والثقافة فى سورية ولبنان . لقد شعرت الدولتان ، انجلترا وفرنسا بأن من واجبهما ومن حقهما التدخل فى المشاكل الحساسة للمناطق المقدسة التى عقدها أكثر وعد بلفور .

وهكذا ظهر فى أوج الانتصار الاستعماري النظام الدولي للاندابم الذى كان يهدف أولا الى الاعتراف بمبدأ تقرير المصير للشعوب بتعلمها التدريجي للحزبية ذلك التعلّم الذى من الصعب وضع حدود له وامتداد نطاق تطبيقه على الشعوب العربية التى انسلخت من الامبراطورية العثمانية فيما بين عام ١٩١٩ وعام ١٩٢٠ .

وهكذا انتهى الحلم بإنشاء دولة عربية عظمى متحررة ومتحدة وكان الاتحاد هو أول حائل أعلى كان مصيره التلاشى . لقد أدى مبدأ « فرق تسد » بإنجلترا وفرنسا الى تشجيع كل خلاف محلى قد يؤدى بدوره الى تقسيم الدولة العربية الى دول منفصلة .

دمشق تسقط فى ايدي الفرنسيين

اقتصرت سيطرة شبه الجزيرة العربية التى كان من الفروض ان تصبح نواة للدول الجديدة كما كانت للامبراطورية القديمة ، على أراضيها . واستمتع الأمير الهاشمى بحلم مملكة سورية حتى عام ١٩٢٠ ولكن بينما أعلن نفسه فى مارس من هذا العام ملكا على

سورية ، صدق مؤتمر سان ريمو في ابريل على مبدأ الانتداب مؤبداً منح سورية ولبنان لفرنسا . وفلسطين لبريطانيا . ولم يدم الحكم المشترك القصر بين فرنسا والهاشميين في سورية الا اشهر قليلة . وانتهى بالقوة عندما شنت مدفعية الجنرال جوردو قوات فيصل التي تجمعت على وجه السرعة بالقرب من دمشق (في يوليو عام ١٩٢٠) ومن ثم كان عليه ان يغادرها الى الابد

اتخذ نظام الانتداب شكله النهائي فيما بين عام ١٩٢٢ وعام ١٩٢٤ باعلان القرارات التي اصدرتها عصبة الامم . وبدلاً من أن يتحقق أمل العرب في قيام دولة عربية متحدة . وجد العرب أنفسهم منقسمين في دول اقليمية - بعضها ملكية (العراق والاردن) - وبعضها جمهورية « لبنان وسورية » وواحدة دون اى طابع سياسى محدد « فلسطين » ولكنها جميعا كانت تخضع لسيطرة المندوبين الساميين البريطانيين او الفرنسيين . ولكل منها بدا تلويح منفصل ، رغم أنها جميعا شاركت في خيبة الامل والمرارة نتيجة للضربة غير العادلة التي وجهت لبرنامج الاتحاد والاستقلال القومي . وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية كانت في وضع افضل مما كانت عليه عند نشوب الحرب العالمية الاولى . ولكن الطريقة التي نفذ بها هذا التقسيم ساهم في ظهور سلسلة من الازمات السياسية وفي حلول فترة جديدة من القومية العربية . وكانت هذه الفترة التي تميزت بهذا الطابع القومي هي اقرب الفترات لعصرنا الحاضر .

كانت معارضة انجلترا الشديدة في مرحلة الانتقال ، لحركة التحرير المصرية ذات طابع استعماري . فقد كشف الاحتلال البريطاني نفسه باعلان الحماية البريطانية على مصر . ولكن بمجرد أن انتهت الحرب العالمية الاولى وناقشت مبادئ ولسن في تقرير المصير في كل مكان ، هبت مصر تطالب بالاستقلال الذي فشلت في الحصول عليه طوال الخمس والثلاثين سنة السابقة .

شكلت جماعة من الزعماء المصريين وعلى رأسها سعد زغلول من نفسها وفناً للاشتراك في مؤتمر السلام القادم . وكان رد البريطانيين هو منع الوفد من الذهاب الى باريس . وبنشوب الاضطرابات نتيجة لذلك قبض على سعد زغلول هو وثلاثة زعماء

وطنيين آخرين ورحلوا الى مالطة (في مارس ١٩١٩) . ولكن الاضطرابات ازدادت سوءا ، الامر الذي أرغم النبي الذي عين مندوبا ساميا في مصر الى اتباع سياسة التسوية . فاطلق سراح المنفيين وسمح لسعد زغلول بالذهاب الى مصر .

حاولت بعثة ملنر (فيما بين ديسمبر عام ١٩١٩ - ومارس ١٩٢٠) ايجاد تسوية مع آمال المصريين بعد فشلهم في حضور مؤتمر بلويس . ولكن المفاوضات كانت غير مثمرة . فعاد البريطانيون الى سياسة القوة من جديد بإلقاء القبض مر اخرى على سعد زغلول ونفيه الى صقلية . ولكن رد الفعل العنيف اضطرهم الى محاولة الوصول الى تسوية . فأعلنت بريطانيا في ٢٢ فبراير عام ١٩٢٢ انتهاء الحماية واستقلال مصر بشروط أربعة جعلت هذا الاستقلال شكليا . وهذه الشروط خاصة بحماية مواصلات الاستعمار في مصر . والدفاع والشئون الاجنبية . واخيرا السودان . وأصبح السلطان فؤاد ، وهو الابن الشاب لاسماعيل . الذي خلفه الخديوى المحزول في عام ١٩١٧ الملك الاسمي على مملكة مصر (المستقلة) مع استمرار الاحتلال البريطاني

لم يعترف « الوفد » باعلان ٢٨ فبراير البريطاني ويرجع نجاح الخطوة الاولى التي اتخذت نحو الاستقلال الفعلي الذي يمكن مصر من استعادة وضعها الدولي من جديد وانتهاء النظام العسكري المحض والتمهيد لحياة برلمانية يرجع أولا الى الشعب المصري بأسره لتأييده في تلك السنوات من الكفاح بروح متحدة عجيبة فقد وقف المسلمون والاقباط والرجال والنساء والطلبة والفلاحون جميعا يدا واحدة في هذا الكفاح ولم يبدأ الصراع الحزبي في مصر الا في عام ١٩٢٢ بصدر اول دستور وقيام اول نظام برلماني . كانت السياسات المصرية الداخلية لمدة ثلاثين سنة قاصرة على الصراع بين بريطانيا والقصر والحزاب السياسية .

الفصل السادس

الدول العربية فيما بين البحرين

رغم المعاناة والتضحية وخيبة الامل ، فان الحرب العالمية الاولى اتاحت للعرب الفرصة لاتخاذ خطوة فعالة نحو تحقيق اهدافهم ورغم الاعياء الواضح للاستعمار في اوربا بعد الحرب ، فان الحقائق أثبتت انه من المستحيل العودة الى الوراء ، وان البنيان الاستعماري الذي يخفى في طياته الاهداف القديمة للسيطرة والاستغلال ، قد كتب عليه ، ان عاجلا أو آجلا الانهيار

كان الكفاح بين المعلمين والطلبة ، بين المتولين أمور الحماية والمحامين هو الذي ساد فترة العشرين سنة فيما بين الحربين عن آخرها ولم ينته حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية بفترة طويلة.

وفيما بين الحربين ساهم عامل آخر في اذكاء روح السخط والكراهية والقلق في نفوس العرب ، وهذا العامل هو مشكلة فلسطين التي خلقتها بريطانيا خلال الحرب العالمية الاولى وتركته دون حل للحرب العالمية الثانية وما بعدها لقد ساعدت الاحداث في فلسطين على تقوية الشعور الممزوج بخيبة الامل والظلم الذي كان النتاج المأم للحرب العالمية الاولى . وأصبح العرب مؤمنين بانه ليس من الممكن الحصول على العدالة الا باستخدام العنف وصمموا على ذلك بالارهاب أولا ثم بالحرب المنظمة ثانيا ، رافضين هذه الطريقة من التسوية التي حاولها فيصل ووايزمان في عام ١٩١٩ .

وسننتقل الان الى استعراض تاريخ كل دولة عربية في هذين العقدين المضطربين فيما بين الحربين ، محاولين تتبع خطوط تطورها

مطولات العربية السعودية :

حدثت تغيرات هامة خلال هذه الفترة في داخل العربية

السعودية التي كان من المفروض ، طبقا لخطه الملك حسين ، ان تكون قلب الدولة العربية المتحدة العظمى . ولم يضع تقسيم الحلفاء النهائي للمنطقة نهاية لخطته فحسب ، بل تركت ملك الحجاز وشأنه في اللحظة التي ظهر فيها عدو جديد من داخل العربية السعودية نفسها . وكان هذا العدو هو سلطان نجد ، عبد العزيز بن سعود الذي يبت خلال العشرين سنة السابقة أمرا لاستعادة سلطة أجدادهم ضد الامراء المنافسين . ولما لم تراوده افكار الوحدة العربية الشاملة ، فانه لم يتحرك خطوة خلال الحرب لمساعدة ثورة الهاشميين ، ولكنه فضل الانتظار ومد وتدعيم حكمه في شمال ووسط العربية السعودية حتى حدود الحجاز .

وفي عام ١٩٢٤ أعلن الملك حسين بعد رفضه الرضوخ للاتفاقات المقترحة مع بريطانيا التي تتضمن الاعتراف بالنظام الجديد للشرق الأدنى أعلن نفسه خليفة لجميع المسلمين . وكان ذلك بداية تحطمه ، إذ ان ابن سعود بدا في الحال اعماله العسكرية من اماره نجد المنافسة للحجاز وفي اشهر قليلة حطم مملكة الحاكم الهاشمي المعزول . وقضى صنيعه الاستعمار بقية حياته في المنفى في قبرص . أولا ثم في عمان مع ابنه عبد الله وبينما كانت الافاق تتفتح لاسرته من جديد خرج شبه الجزيرة العربية في شرق الاردن بنفسها وفي العراق ، كان الحكم السعودي يتبث اقبامه في الحجاز . ولم يبق خارج المملكة العربية السعودية كما سميت الدولة الجديدة في عام ١٩٣٢ والتي تمثل ثلثي شبه الجزيرة العربية ، غير اليمن التي حكمها « امام » والسلطنات المختلفة في شبه الجزيرة التي تخضع كلها للحماية البريطانية .

وباكتشاف البترول في العربية السعودية سمح بتسريب النفوذ الغربي اليها في نطاق الميدان الاقتصادي والفني المحض ، ولكن لم يسمح بتسريبه بتاتا الى الميدان السياسي . فبدا الرأسمال الامريكي (ممثلا في شركة ارامكو للبترول) يستغل آبار الزيت الضخمة في العربية السعودية منذ عام ١٩٣٣ حتى الان . اما السلطة السياسية فكانت كلها في يد الملك سعود . وكانت دولته تخضع للحكم الكلي .

ملكنا الهاشميين :

انتقلت الأسرة الهاشمية التي طردت من وطنها الام ، الحجاز الى الجزء الشرقي الذي يشكل دولتا شرق الاردن والعراق . لم يتمخض عن حكم الاولى التي كانت أولا أميرة ثم أصبحت فيما بعد عام ١٩٤٦ . مملكة يحكمها ابن حسين ، عبد الله ، طوال العشرين سنة هذه ، لم يتمخض حكمها في تلك السنوات على الاقل عن أحداث تذكر ، طالما ان ارضها كانت في الغالب صحراوية ، وسكانها من البدو بصفة رئيسية ، وأحوال معيشتها لا تختلف عن مثيلتها في شبه جزيرة العرب ، وكانت الحياة السياسية هناك محصورة في العلاقات بين رأس الدولة وسلطان الانتداب التي اعتبر الملك عبد الله طوال العشرين سنة هذه الحاكم المخلص لها الذي يمكن الاعتماد عليه ..

وكانت السياسات الداخلية في العراق أبعد ما تكون عن الهدوء والاستقرار نتيجة للمشاحنات والنزاعات والمصادمات المختلفة بين العناصر الطائفية والطوائف الدينية والجماعات المختلفة . غير أن نقص التعليم السياسي المستمر أتاح الفرصة للمؤامرات والانقلابات الكثيرة البعيدة كل البعد عن الحياة السياسية . ومن ثم كانت الانقلابات العسكرية في عام ١٩٣٦ وعام ١٩٣٧ الدامية

الفرنسيون وسورية :

وما حدث في العراق ومصر على أيدي البريطانيين حدث في سورية ولبنان على أيدي الفرنسيين ، ولم يقابل ذلك في الغالب إلا بالكراهية والثورة وقد بدأ المنتصرون بتمزيق شمل وحدتها التاريخية باستقطاع فلسطين أولا ثم لبنان (الذي زادت رفقته فشملت أكثر من المنطقة الجبلية ، أي المنطقة الساحلية بأكملها ، وفي الداخل جزءا كبيرا من بيروت ودمشق) ثم انتهت أخيرا الى تقسيم ما تبقى الى وحدات ادارية صغيرة « وهي دمشق وحلب وجبل الدروز ولواء الاسكندرونة التي لم تدمج كلها باستثناء الأخيرة في جمهورية سورية واحدة الا في عام ١٩٣٦ »

وكان السبب الذي أعلن تبريرا لبعض هذه التقسيمات الفرعية هو تعدد العناصر الطائفية وأهم ذلك العقائد الدينية ، والحاجة الى حماية الاقليات وهذا هو السبب التقليدي للاستعمار الذي

استخلمه كمبرر لقمع الاغلبية . وبينما كانت القومية العربية تبذل كل جهد لتحطيم القيود التي بين اقليم وآخر لتكوين بلد واحد اكبر . كانت فرنسا تطبق المبدأ المضاد . ويعمد أن طرد الجنرال جورود فيصل بقوة السلاح هنا نفسه والسوريين بتحريرهم من الحكم الحجازي .

طبق الانتداب في لبنان بصورة اكثر سلمية . ولكن لم تخل من مصادمات ، نظرا لوجود روابط أقدم وأقوى بفرنسا . وطالما أن نصف السكان تقريبا كانوا من المسيحيين ، وأن الأعمال التبشيرية والتعليمية النشطة كانت تجري على أيدي فرنسيين . وكانت اللغة الفرنسية هي اللغة القومية الثانية تقريبا في لبنان . كما ظلت جامعة جيزويت في بيروت لمدقويلة المركز الحي للثقافة والعلم الغربيين ، بجانب الجامعة الأمريكية .

ورغم كل ذلك كان التطلع نحو الاستقلال يزداد وضوحا في لبنان رغم أنه كان محليا حتى يمكن الاحتفاظ بالتوازن بين المسيحيين والمسلمين ذلك التوازن الذي قد يفقد إذا أعيد ضم لبنان إلى سورية . وما حدث في سورية حدث في لبنان أيضا . إذ أنهت معاهدة التحالف التي أبرمت في عام ١٩٣٦ الانتداب .

وفي أقصى شمال سورية احتفظ لواء الاسكندرون بمصير خاص ومنذ عام ١٩٢١ منحت الاتفاقية الفرنسية - التركية للأقلية التركية مطلق الحرية في استخدام لغتها وتطوير ثقافتها . ومن هنا جاءت مطالبة تركيا بهذا الاقليم وتجاهل حقوق السوريين وحقوق العرب ، التي تكفلت فرنسا سيده « فرق تسد » بالمحافظة عليها . وحدث انفصال الاسكندرون عن بقية سورية التي كانت دائما متحدة معها تاريخيا بإعلان الحكم الذاتي في عام ١٩٣٩ . ووافقت عليه فرنسا نهائيا . وجاء ارتباطها بتركيا في نفس السنة تحت التهديد بالحرب في صيف عام ١٩٣٩ . وانتقلت ملكيتها اليها في معمة الازمة العالمية دون أن يلاحظ ذلك أحد تقريبا ، ولكنها ظلت حية في ذاكرة العرب وظهرت في الايام الاخيرة كمظهر لقوميتهم الأكثر طموحا .

مشكلة فلسطين :

ان الجدير بالملاحظة في هذه المشكلة هو أن وعد بلفور لاقامة

« وطن قومي لليهود » في فلسطين لم يعن بالضرورة بإقامة دولة (ولم يكن هناك أية اشارة واضحة لدولة في اتفاق فيصل مع سايكس بيكو ولكن كان من الطبيعي أن ترى المثل الصهيونية القديمة . بهذا الشكل وتعرف كلمة « وطن » بأنه الدولة العبرية المستعادة في اسرائيل . وعلى أية حال ، بدأت هجرة اليهود الى فلسطين بعد الحرب مباشرة . وفي عام ١٩٣٩ بلغ عدد اليهود في فلسطين نصف المليون مقابل مليون عربي « بينما كان عددهم منذ عشرين سنة سنة آلاف فقط »

بدأت عملية تحويل الاراضي من العرب الى اليهود . وعندما أدرك العرب المحليون خطر هذا التيار اليهودي المتدفق من المهاجرين بدأوا في الاحتجاج أولا بالمقاطعة ثم باثارة الرأي العام ، ثم استغلال العنف . بينما استمر اليهود الذين ساندتهم وعد بلفور والرأي العام الانجلو - أمريكي في التدفق الى فلسطين التي شعر الكثير منهم بأنها المأوى الأمين لهم .

الفصل السابع

الحرب العالمية الثانية والتجمعات الجديدة

ركزت فرنسا قواتها العسكرية في سورية والبلدان المجاورة . وكان من المفروض ان تحمي هذه القوات المنطقة من الهجمات الألمانية ، ولكن هذه القوات قد حلت ، بعد هزيمة فرنسا وعقد هدنة مع ألمانيا . دون اطلاق قذيفة واحدة .

العراق في عام ١٩٤١ . ثورة رشيد على الكيلاني :

وثناء ذلك ، قامت بريطانيا في العراق بقمع انطلاق للقومية العربية ففي ربيع عام ١٩٤١ استولى رئيس وزراء سابق ، وهو رشيد على الكيلاني على السلطة بعد قيامه بانقلاب ، واجبر عبد الاله والملك الصبي فيصل الثاني وغيرهما من الزعماء السياسيين الموالين للبريطانيين على الهروب من البلاد وكانت هذه اجراً خطوة تتخذ في ارض عربية ، ولكن سرعان ما ادى تدخل القوات العسكرية بقيادة بريطانية الى انتهاء الثورة بعد أسابيع قليلة من النضال غير المتبادل . وعاد ولي العهد والملك وغيرهما من المنفيين الى البلاد ، بينما هرب رشيد على الكيلاني والمفتى الذي ساند الى إيطاليا ، وارتبطت العراق بانجلترا على طول الخط

لم يكن الوقت مهياً لاتحادات سياسية حقيقية ، ولكن مزايا التضامن بين الدول العربية المتخلفة ظهر بوضوح في ضوء المشكلات التي سببتها الحرب حتى انها حثت مصر على تبني منظمة سياسية اقليمية لحماية سيادة الدول وفي الوقت نفسه لتوحيدها من أجل المصلحة المشتركة . وكان هذا هو أصل الجامعة العربية . بينما ضمنت دول الشرق العربية لنفسها . بإعلان الحرب على ألمانيا مقاعد لها في الجمعية العامة للأمم المتحدة وافتتحت جامعة الدول بالعربية رسمياً في القاهرة في ٢٢ مارس عام ١٩٤٥ وضمنت مصر والعربية السعودية والعراق وسورية ولبنان وشرق الاردن ثم

اليمن فيما بعد . وأعلن أن الغرض من الجامعة هو « تقوية العلاقات بين الدول العربية وتنظيم الخطط السياسية التي تهدف إلى التضامن فيما بينها ، ولحماية استقلالها ووحدتها ، ومناقشة شئون ومصالح العالم العربي بوجه عام » .

لم تنضم إليها تونس وليبيا ومراكش إلا بعد أن حصلت كل منها على استقلالها .

أثار انشاء أول منظمة تضم شمل العرب حماسا هائلا وآمالا كبرى عند أولئك الذين رأوا فيها خطوة نحو وحدة الأجزاء المتفرقة المشتتة من العالم العربي .

لم يكن نشاط الجامعة العربية من البداية قاصرا على الميدان السياسي فحسب ، ولكن النية كانت متجهة أيضا نحو تغطية المسائل الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ولا بد أن يؤول شطر كبير من التقدم للجامعة وللشعور الجديد بالوحدة الذي عبرت عنه . بعد أكثر من عشرين سنة من الولاء الاقليمي . الخروج عن كل شكل من اشكال الذاتية في الميدان السياسي والعودة إلى تبني آراء الوحدة التي مهدت للبعث .

وكانت مشكلة فلسطين دائما المشكلة العاجلة التي لم تحل للعالم العربي بأسره في نهاية الحرب كما كانت في بدايته . وقد شهدت سنوات الحرب الأولى نوعا من الهدنة مفروض على العرب ولكن عندما اتخذت مطالب اليهود يتكوين دولة حقيقية وفعالة لهم . شكلا تعقدت الأمور من سوء إلى أسوأ .

ومن عام ١٩٤٣ حتى تنفيذ قرار التقسيم في عام ١٩٤٨ بدأ ان السياسة البريطانية ، التي كانت دائما تتصف بالتحيز لليهود . تظهر وتتمو . وأمريكا أيضا أبدت المطالب الصهيونية علانية .

الإرهاب الصهيوني :

شهدت فلسطين بعد خلق دولة إسرائيل موجة من الإرهاب والعنف وكان أبرز ضحايا هذا الإرهاب اليهودي هو الكونت برنادوت مبعوث الأمم المتحدة الذي قتل بأيد صهيونية والذي فقد حياته في محاولة لتسوية النزاع بين الفريقين المتخاصمين .

الفصل الثامن

حلف بغداد

اتخذت العلاقات الانجلوعراقية الاخيرة شكلا جديدا في حلف بغداد الذي نوقش كثيرا . والذي اعتبرته القومية العربية كهودة جديدة للاستعمار البريطاني الى الشرق الادنى والاطوسط . كانت نواته ، هو الاتفاق المباشر بين العراق وتركيا « الذي وقع في بغداد في فبراير عام ١٩٥٥ » ثم انضمت اليه بعد ذلك ايران ، وباكستان وفي ابريل وقعت بريطانيا ايضا اتفاقا مع ايران في نطاق الحلف وقد كون منطقة دفاعية في الشرق الادنى والاطوسط لصد اي هجوم من الشمال ونظمته بريطانيا لحفظ التوازن في الشرق الادنى . والاهم من ذلك ضمان الوصول بحرية الى ابار الزيت الغنية . وكان دخول العراق في حلف تتولى رعايته بريطانيا بمثابة انشقاق خطير في اتحاد العرب الذي كانت الجامعة العربية بمثابة الخطوة الاولى نحو الوصول اليه .

كان الشخص الذي جر العراق الى مثل هذه الاتفاقات مع بريطانيا والذي تبنى سياسة موالية لبريطانيا . هو نوري السعيد الذي وجه الاحداث السياسية في العراق منذ بداية الثورة العربية ضد الاتراك حتى ايامنا هذه . كان صاحب فكرة اتحاد الهلال الخصيب منذ عام ١٩٣٢ . ولكن الخطوة الحقيقية في هذا الاتجاه قد اتخذت في شكل الاتحاد الفيدرالي بين العراق والاردن في فبراير عام ١٩٥٨ . واتهم مرارا بالفساد والاستبداد والدكتاتورية المقنعة وتعاون مع الغرب . وظل على هذا الحال حتى اطاحته به وبالملك في العراق ثورة يوليو ولم يلبثت اي دكتاتور عانت منه البشرية ومازالت تعاني منه كما بوغت « كلب المستعمرين » نوري السعيد ، بمثل هذه السهولة .

الملك عبد الله ملك الاردن :

ادار سياسة الدولة الهاشمية الاخرى بتوجيه اسبيله الانجليز ايضا حتى لقي الملك عبد الله حتفه آخر من بقي على المسرح من ايام ثورة حسين لورنس العربية .

ومن أجل توسيع ملكية الاردن - ظل عبد الله يتبنى حلم وحدة الهلال الخصيب الذي من أجله خرج اياه من وطنه الصحراوي . ومن ثم هدد الاقليمية السورية واللبنانية . واثار غضب باقي العرب في عدائهم لاسرائيل بإمكانية وصوله الى اتفاق معها . وجاءت نهايته بغتياله في القدس « في ٢٠ يونيو عام ١٩٥١ » . وبعد فترة قصيرة من حكم ابنه طلال المعادي لانجلترا ، خلفه على عرش الاردن ابنه حسين .

مصر الحسرة :

خرجت مصر من الحرب العالمية الثانية وهي في مركز الزعامة الادبية بين الدول العربية . ولكنها واجهت أيضا مشكلات مالية واقتصادية واجتماعية كانت في حاجة الى حل لها .

جرت المفاوضات لتحقيق هذه الغاية من وقت لآخر . ولكن بريطانيا كانت دائما تماطل في الوصول الى اتفاق نهائي بهذا الشأن حتى قيام الثورة المصرية في يوليو عام ١٩٥٢ وروسوخ انقلاب ناصر فانهى اتفاق ١٩ أكتوبر عام ١٩٥٤ في الواقع فتره الاحتلال العسكري البريطاني للأراضي المصرية التي احتلت في سبتمبر عام ١٨٨٢ . وهكذا تحقق اول مبدأ من مبادئ مصطفى كامل « الحرية في أراضينا » .

وثناء ذلك كانت القوات المسلحة المصرية تمر بازمة مادية وادبية خطيرة ففي عام ١٩٤٨ منيت في حملتها ضد اسرائيل بهزيمة منكرة نظرا لفساد الاسلحة وعدم تسليحها تسليحا كاملا . ولكن مهما كانت أسباب الهزيمة . فان الخطأ الخطير الذي ارتكبه الملك هو انه لم يحسب حساب له لاستياء ومرارة الجيش . وأنه اضاف مزيدا من الوقود للنار بإسرافه الخاص وبدخله ومحسوبيته ومجونه ولم يكن هذا بالشئ الجديد في تاريخ مصر الحديث طالما ان جميع اسلافه اعتبروا انفسهم كوثنة شرعيين لمحمد علي أي الحكام المطلقين للبلاد بدلا من أن يكونوا حكاما للملكية دستورية . ولكن الوطنية المخلصة بين طبقة الضباط الثبان لم تستطع تحمل هذا الوضع أكثر من ذلك . ومن هنا جاءت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

الثورة المصرية (١٩٥٢)

وفي ذلك اليوم قام الضباط الاحرار بطرد الملك فاروق بعد اجباره على التنازل عن العرش لابنه الطفل فؤاد الثاني في ١٨ يونيو عام ١٩٥٢ اعلن انتهاء حكم أسرة محمد على وقيام الجمهورية

وقام ناصر بتنفيذ برنامج سياسى واقتصادى واجتماعى ضخم تضمن حل الاحزاب ، واعلان دستور جديد ، وتحديد الملكيات والغاء الالقاب . وتوزيع الثروة ووسائل الانتاج ، والا هم من ذلك تحقيق الاهداف القومية فى السياسة الخارجية .

فبعد انوصول الى اتفاق عام ١٩٥٤ الذى نص على جلاء القوات البريطانية عن منطقة القناة فى ظرف عشرين شهرا . قام رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر بتأميم المعر المائى الدولى الحيوى ففتح بذلك أهم صفحة فى تاريخ البحر الابيض المتوسط الحديث

مسألة السويس .

يمكن تلخيص تفاصيل ازمة السويس على الوجه التالى . اعلن ناصر تأميم قناة السويس فى يوليو عام ١٩٥٦ . ردت فرنسا وبريطانيا على ذلك بالاحتجاج وعرض الدخول فى مفاوضات اولا ثم باتخاذ اجراء عسكري مهدت له اسرائيل بهجومها على شبه جزيرة سيناء فى اكتوبر عام ١٩٥٦ . نزلت قوة انجلو - فرنسية على شاطئ بورسعيد . وكان من نتيجة ذلك أن اغلقت القناة ووقف المصريون خاصة والشعب العربى عامة والشعوب الحرة فى وجه الاعتداء الامر الذى ادى الى عدم نجاح الحملة الانجلوفرنسية

وكان انسحاب الدولتين الغربيتين وجلاء قواتهما عن الاراضى المصرية فى ديسمبر عام ١٩٥٦ وبعد ذلك جرت مفاوضات مباشرة متوالية بين مصر وشركة قناة السويس ، التى تمثل فى الواقع انجلترا وفرنسا . انتهت الى اعتراف الدولتين بالامر الواقع . اى بالتأميم . وتركهما يجران اذبال الفشل والهزيمة نتيجة لتدخلهما العسكري .

وكانت من نتيجة هذه الازمة التى بدت فى خريف عام ١٩٥٦ كما لو كانت ستجر العالم باسره الى حافة حرب عالمية ثالثة . اذ

خرج ناصر منها منتصرا . وبدأت إنجلترا وفرنسا في نظر العالم العربي انهما عادتا الى اساليب القرب القديمة ، التي لم تنسى بعد نحو الشرق . وبدأ حاكم مصر الذي لم يتهاون في ارسال الضربات التي وجهها الى الاسرائيليين في سيناء . والقوات الانجلو-فرنسية في منطقة القناة بطلا لازال على صهوة جواده لابس ملابس المدافع عن بلاده وعن الحق . واصبح . للعرب دليلا حيا جديدا على أن الاستعمار لم يمت بعد . وظلت القناة مغلقة لمدة سنة . وارتفعت اسعار البترول أكثر من ذي قبل . واخيرا وضعت عودة العلاقات الدبلوماسية نهاية محددة للجدل المؤلم العنيف الذي بدأ فيه العالم العربي منقسما وعدوانيا وضعيفا .

الفصل التاسع

بعث المغرب

شهدت فترة ما بعد الحرب الثانية التحرر الكامل تقريبا للمغرب العربي . وكنتيجة ، للخاتمة الطبيعية لطريق طويل شاق لقد نظر عرب الشرق والمغرب على السواء الى امتداد شمال افريقيا - غربى مصر دائما على انه منطقة عربية وجزء من العالم العربى له صفاته الخاصة التى تميزه دون فصله عن بقيته . لقد فرض العرب أنفسهم على شعوب هذه البلدان التى استوعبت الاسلام واللغة والثقافة العربية بسرعة ، ولكنها اضافت لها بدورها خصائص من سيكولوجيتها وعاداتها ومعتقداتها الخاصة .

وفي القرن التاسع عشر والعشرين كان شمال افريقية كله مفتوحا للاستعمار الاوروبى كمنطقة ناضجة لاستعمارها . وكمصدر للربح غير أن تدفق الازمات الدولية الأخيرة وبعث العرب فى الشرق كانا لهما رد فعل سريع وفعال بصورة لم تكن متوقعة فى الغرب . فتحررت ثلاثة أرباعه من الاستعمار الاوروبى فى اقل مما عقد بقليل

كانت ايطاليا وفرنسا الدولتين المتزعمتين لهذا التغلغل فى شمال افريقية . ولكنهما اضطرتا الى الجلاء على وجه السرعة منها ، كانت ايطاليا ، اخر القادمين واول الطرودين من ليبيا .

هناك بعض الدوافع خلف معارضة فرنسا لاستقلال الجزائر وهى المصالح الاقتصادية ممثلة فى الملكيات والاستثمارات الصناعية والامال الجديدة البراقة فى بترول الصحراء . وكل هذه العوامل تؤدي مباشرة الى صلب ماساة الجزائر التى لم تحل بعد . ولكن لابد أن نتحدد أولا طرق التحرر وفعلا قد حدده الابطال الجزائريون

الجزائر

كانت السياسة التى اتبعتها فرنسا مع عرب الجزائر لجعلهم

ضعفاء هي نفس السياسة التي اتبعتها لمدة طويلة في تونس ومراكش ، أي منح امتيازات شكلا ليست لها قيمة في الجوهر . واعطاء كلمات ووعود - التي تناقضها الحقائق رغم الوعي بالحقوق والمطالب القومية يزداد نموا وتنمو معه الكراهية نحو الغرب ، تلك الكراهية التي كان من الممكن أن يتجنبها الغرب . ولا سيما في الجزائر . لو أنه وجه الدعوة لأهل البلد للمساهمة في ثرواته الروحية والمادية وكان نتيجة الفشل في الوصول الى ذلك مانراه الان من تعقد في الموقف ومن تقرح في جسد فرنسا الذي مازال مستعصيا علينا معرفة كيف ومتى يمكن شفاؤه .

يمكن تتبع بدء الحركة الوطنية الجزائرية من فترة ما بعد الحرب الاولى عندما قام الجزائريون ليعبروا عن رغبتهم فقط في المساواة في الحصول على مزاياهم . ومن هؤلاء فرحات عباس رئيس وزراء حكومة الجزائر الذي بدأ نشاطه السياسي كرجل معتدل يشارك في امكان قيام امة وبلد جزائري .

وشهدت المراحل التالية من الحركة الوطنية « بيان الشعب الجزائري » الذي ادلى به فرحات عباس في عام ١٩٤٣ والذي تضمن وجهات نظر الحكومة الجزائرية وهدف هذم الحركة هو « اعلان جمهورية جزائرية تتمتع بالحكم الذاتي . وهذا امل كان يراد جزءا من الراي العام الفرنسي على الاقل ، حتى وقت حديث للغاية ، وكان سيجده مقبولا وحتى مرغوبا فيه كحل لمشكلة الجزائر . ولكن فرنسا ردت على ذلك بحل الحركة والقبض على فرحات عباس . وشهد عام ١٩٤٥ اكثر الحوادث التي سبقت فيها الدماء قبل الثورة العنيفة في عام ١٩٥٤ عندما أسفرت عمليات القمع العسكري ازهاق ارواح ثمانية أو عشرة الاف ضحية . وفي السنة التالية أسس فرحات عباس «الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي شكل يانضملمه الى الحركة من أجل نصرة الحريات الديمقراطية» الجماعة الوطنية الرئيسية حتى الثورة .

وتحت ضغط هذه الافكار وتلك الاحداث ، أصدرت فرنسا في سبتمبر عام ١٩٤٧ القانون الذي اسمته بالقانون الاساسي للجزائر وقسمت الى ثلاث مناطق ، بينما منحت المواطنة الفرنسية لجميع الجزائريين ، مع التميز رغم ذلك بين المواطنين الفرنسيين والمواطنين الجزائريين الذين يمثلون الغالبية العظمى من العرب في الجزائر .

وأسست جمعية جزائرية محلية ، تختص بالنواحي الادارية أساسا
يقوم بانتخاب أعضائها الفئتان المذكورتان آنفا ، وهما الجزائريون
الفرنسيون والعرب

ورغم هذا التقسيم غير العادل الذي قصد به منع وجود أغلبية
عربية عظمى في الجمعية . فقد اعتبر الراسميون والمستعمرون
الفرنسيون المحليون قانون ١٩٤٧ كامتياز خطير وغير متوقع ورتب
أمر إجراء الانتخابات التي جاءت بعد ذلك بطريقة تضمن عودة
الممثلين المؤيدين للمصالح الفرنسية حتى في القاعة المحلية للجمعية .
وكان هذا الانتهاك غير العادل للامتياز الجزئي الذي كفه القانون
بداية لخيبة أمل الوطنيين الجزائريين ولانتهاجهم وسائل أكثر
تطرفا أدت الى الثورة المسلحة .

الثورة الجزائرية (١٩٥٤) .

اندلعت الثورة في أول نوفمبر عام ١٩٥٤ ، وكان هذا اليوم
قد حدد من قبل لقيام الثورة فيه بقيادة لجنة العمل والوحدة
الثورية التي تضمنت قواد من المتطوعين نظمت تنظيميا للقسم
بالكتابة والمقدرة . وهي المعروفة بجبهة التحرير الوطني . وتضم
قالبية التوار ، وظهرت جماعة منشقة بزعملة المصالي لتمتد
تعاليمها من فرنسا . اتخذت لها اسم الحركة الوطنية الجزائرية
ولما كان التوار يزودون بالعتاد والمؤن من قواعد سرية عبر تونس
ومراكش ، فقد سيطروا في بادئ الأمر على المنطقة الشرقية من
الجبال ، ثم اقتحموا الجزائر بأكملها في حرب عصابات دامية ، لم
يستطع الجيش الفرنسي المنظم بعد ، رغم استخلامه رجال
ومعدات بأعداد وكميات هائلة ، أن ينجح في قمعهم .

لم يكن التبريد الفظيع في اللحاء والممتلكات الذي كبده جرب
الجزائر لفرنسا « فطما للاحصائيات » تتكبد فرنسا حوالى ألفي
مليون فرنك سنويا « الثمن الوحيد الذي دفعته فرنسا لروحها
الاستعمارية القديمة العنيدة . فالتخسرة الادبية التي عانت منها
الجمهورية البالية كانت أشد خطورة لأنها أضعفت مركزها في دول المغرب
الجديدة وفي العالم العربي بوجه عام . وفي الواقع ، كانت وسائل
التعذيب والقمع المخجلة التي اتبعتها فرنسا وطرق الجساثو التي
ما زالت مثالة في الأذهان . والتي انتهجتها ، صدمة عنيفة لجزء
كبير من الرأي العام حتى في فرنسا نفسها . وعندما بدأ التصميم

في الاوساط العليا على معالجة مشكلة الجزائر وبدا أن هناك احتمال إجراء مفاوضات مع الثوار ، استولى الاستعماريون والجيش على السلطة واتوا بعد قيامهم بفتنة مايو عام ١٩٥٨ يديجول الى الحكم مهلدين بالحرب الاهلية ، ومعتقدين أنهم بهذه الطريقة سيفلقون الباب في وجه أية محاولة لايجاد حل لها .

وبقي الامل في الوصول الى حل سياسى لمشكلة الجزائر ، واعادة السلام الى ربوع البلاد

وبدا أن تصريح ديغول في سبتمبر عام ١٩٥٩ عن مستقبل الجزائر أنه يقدم حلا جديدا للمشكلة برمتها . ففي هذا التصريح الذي أعلنه في ١٦ سبتمبر يحصر مستقبل البلاد في حرية اختيار السكان المحليين « الفرنسيين والعرب » ووضع امامهم احتمالات ثلاثة : الانفصال الكامل او الاندماج الكامل مع فرنسا ، او الحكم الذاتي الجزائري مع الاتحاد مع فرنسا والحصول على تأييد منها والمسألة الهامة في هذا الاقتراح « الذي اثار شك الفرنسيين المتطرفين بصورة ليست اقل من شك الجزائريين أنفسهم » هي الى اى مدى ستكون حرية الاختيار ايجابية وفعالة في خلال المدة التي حددها ديغول لتحقيق ذلك واقصاها أربع سنوات بعد وقف القتال في البلاد . ولاول مرة يعترف رئيس الدولة الفرنسية المسئول بهذه الحقيقة وهي أن مصير الجزائر يجب أن يعتمد على اختيار شعبها بحرية . ورغم أن ديغول قدم حولا ثلاثة وهي الاندماج الكامل مع « فرنسا المتروبوليتان » او على الحكم الذاتي في نطاق « الكومنولث الفرنسى » او الاستقلال الكامل مع الانفصال ، فإنه استنكر هذا الاختيار الأخير رغم أنه كان ضمن اقتراحه ، وادعى أنه مضر بالجزائر . ولكن مجرد ذكر ذلك حتى لو كان من الناحية النظرية كان خطوة كبرى في سبيل التفاوض مع الثوار . ولذلك اضطرت حكومة الجزائر المؤقتة في المنفى الى بحث هذه الاقتراحات ، والاعتراف ، ولكن بتحفظ . بإمكانية الدخول في مفاوضات لبحث هذه الشروط . وفي الوقت نفسه اثار الاعتراف بالانفصال كحل محتمل مشاعر قوية من الاستياء والفضب بين المستعمرين الفرنسيين

والدوائر العسكرية الفرنسية . فقد شعروا بأن الأساس الشرعى
يرمته لبقائهم فى الجزائر أصبح مهددا .

وأخيرا تحدث ديجول ، بعد أيام من القلق وعدم الاستقرار ،
الى الجيش ولامه ، عن طريق الاذاعة ليطمئن الى تأكيد سلطته
مرة أخرى . ومع ذلك فإن هذا الحادث الخطير يبين كيف إن الطريق
المؤدى الى حل لازمة الجزائر طويل وشاق . اقترح ديجول فى
خطبته التى ألقاها فى سبتمبر مدة محددة اقصاها أربع سنوات
يتم خلالها الوصول الى تسوية نهائية . وفى الوقت الراهن .
لأنه من الاعتراف بأن احتمال الوصول الى حل ديمقراطى وإنسانى
بحق هو الحل الوحيد لمشكلة الجزائر .

الفصل العاشر

انضجار الموقف في لبنان والعراق (١٩٥٨) :

نشبت الازمة في صيف عام ١٩٥٨ . فظهرت أولا في اندلاع الحرب الاهلية في لبنان . ففي مايو دخلت قوات المعارضة (بعد قتل صحفي حر هو نسيب المتني) الميدان في شكل عصابات . فظهروا عدم قدرتهم على الاستيلاء نهائيا على السلطة . كما اظهرت الحكومة عجزها عن قمعهم وبسرعة وبصورة حاسمة . كان الرأي السائد في الاوساط الدولية يعتقد ان الازمة داخلية محضة . وفي ذلك الوقت حدث انقلاب في العراق وقلب الموقف هناك رأسا على عقب وحل الاتحاد العراقي الاردني الذي لم يعش طويلا ، وأسفر الانقلاب العسكري السريع عن قتل الملك فيصل والاسرة المالكة بأسرها في بغداد في ١٤ يوليو . ورئيس الوزراء نوري السعيد بعد ايام قليلة . واعلان الجمهورية في العراق .

وبينما بدت الثورة العراقية في بادئ الامر خطوط نحو الوحدة العربية الشاملة بدأت أصابع الاستعمار تعمل في خفاء وقلبت رأسا على عقب تقريبا . وفي الثمانية عشر شهرا التي تلت سقوط الاسرة الهاشمية مرت البلاد خلال فترة عصيبة للغاية من تاريخها السياسي والاجتماعي ، فكانت مليئة بالؤامرات والثورات والافتغيات « كان أخطرها ثورة الموصل العسكرية في مارس عام ١٩٥٩ . واخذت بسفك الدماء » . وفي صيف عام ١٩٥٨ لم تتردد بريطانيا في إرسال قوات البرشاوت لحماية آخر دولة عربية ظلت صديقة لها .

ويجب الآن أن نسرع في غرضنا التاريخي للتطور الذي ما زال يسير قدما الى الامام . محاولين الوصول الى نتائج من كل ماحدث حتى الآن .

لقد تالفت من جديد الوحدة التي ترجع الى بداية الحركة من اجل التحرر العربي والتي رفضها الغرب . ولم يعترف بها لاكبر وقت ممكن

كتب سياسية - صدر من هذه المجموعة

رقم	اسم الكتاب
١	اسرار الصهيونية
٢	خليج العقبة
٣	آراء في السياسة
٤	الهيئة الشائكة
٥	بروتوكول حكماء صهيون
٦	في داخل افريقيا
٧	نزع السلاح
٨	مصر النائرة
٩	الكتل الدولية في الامم المتحدة
١٠	الانظمة الانتخابية في العالم
١١	اسرار الحملة على مصر
١٢	الزعيم الثائر
١٣	مؤامرة السويس
١٤	العلاقة الدولية
١٥	المشروعات الاستعمارية في افريقيا
١٦	اسرائيل والفكرة الصهيونية
١٧	غروب الاستعمار
١٨	التلمود شريعة اسرائيل
١٩	عدو فرنسا رقم ١
٢٠	٢٣ يوليو
٢١	قناة السويس
٢٢	حلف جنوب شرق آسيا
٢٣	عمان وامارات الخليج العربي
٢٤	التقاليد البرلمانية في بريطانيا
٢٥	رحلة مع التاريخ

رقم	اسم الكتاب
٢٦	الحكومة المالية
٢٧	التقاليد البرازيلية في بلجيكا وهولندا والنرويج
٢٨	الجزائر مشكلة دولية
٢٩	حلف بغداد
٣٠	شعب إسرائيل عندما يحكم
٣١	حق تقرير المصير
٣٢	نحو علم السلام
٣٣	اللاجئون
٣٤	الاشتراكية غدوا بها
٣٥	سورية
٣٦	السياسة الدولية على ضوء القمر الصناعي
٣٧	قصة السويس
٣٨	افريقيا في طريق الحرية
٣٩	مشكلة العصر الحاضر
٤٠	٦ ايام في سورية
٤١	حلف الاطلنطي
٤٢	فبرص صراع في سبيل تقرير المصير
٤٣	ايران الفريسية
٤٤	نحو مجتمع اشتراكي ديموقراطي تعاوني
٤٥	تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية
٤٦	مشكلات عربية
٤٧	نداء التعايش
٤٨	سورية
٤٩	اليمن
٥٠	قصة الدبلوماسية الامريكية في آسيا
٥١	دولة كبرى في الشرق الاوسط
٥٢	الجمهورية العربية المتحدة
٥٣	خطب الرئيس في الاقليم الشمالي
٥٤	اليمن الحديثة

رقم	اسم الكتاب
٥٥	هذه هي الجزائر
٥٦	اسرائيل عصابة عدوانية
٥٧	نحو الاشتراكية
٥٨	بترول العرب
٥٩	الملونون
٦٠	سياسة عدم الانحياز
٦١	دفاع عن افريقيا
٦٢	الناصر صلاح الدين
٦٣	لبنان الثائر
٦٤	الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية
٦٥	ازمة السياسة الامريكية
٦٦	غانا دولة افريقية متحررة
٦٧	الاستجاب
٦٨	حياة شعب
٦٩	يوغوسلافيا
٧٠	العراق الثائر
٧١	مصر الفتية
٧٢	بناء المجتمع الجديد
٧٣	سقوط حلف بغداد
٧٤	الثورة الاجتماعية
٧٥	قضايا عالمية
٧٦	الصهيوني العالمي
٧٧	الليرة في المحيط اللولى
٧٨	الفجر العربى
٧٩	القوميون السوريون
٨٠	امريكا وبترول الشرق الاوسط
٨١	رحلة الى ارض التساعب
٨٢	اسرائيل جنابة وخيانة
٨٣	اضواء على السد العالي
٨٤	الاشتراكية التعاونية
٨٥	السودان حقائق ووثائق
٨٦	الارهاب الصهيونى

هيئة قناة السويس

لما قام مشروع ناصر لتعميق وتوسيع قناة السويس

لم تكن الشركة المؤممة تتوخى في المشروعات التي كانت تعدها لتحسين القناة غير مصلحتها الخاصة ، فكان المسئولون عن ادارتها يقضون مشروعاتهم على الفترة الباقية من مدة الامتياز الممنوح لشركتهم دون أن يعملوا حسابا لتطور الملاحة العالمية أو الازدياد المطرد في عدد السفن التي تعبر القناة أو ضخامة حمولتها .

وقد ذكرت مجلة الايكونومست البريطانية صراحة ان المشروعات التي كانت قد اعدتها الشركة المنحلة لم تكن تكفي بأى حال ضغط العبور في سنة ١٩٦٥ ، أى بعد تسع سنوات من تاسيسها ، وقبل انتهاء عقد امتيازها بثلاث سنوات . ولما كانت حركة الملاحة في القناة تشتد عاما بعد عام ، كان لزاما على الجمهورية العربية المتحدة أن تحتاط لهذه الزيادة وأن تعمل كل ما في وسعها لمواجهة كل احتمال يترتب عليها أو ينشأ عنها ، فاعد مشروع ناصر لتعميق القناة وتوسيعها .

ويجرى العمل حاليا على تنفيذ هذا المشروع الذي سيكون له اثره المحسوس في تمكين اكبر عدد من السفن من المرور بالقناة في سرعة ويسر ، لا سيما أنه سيحصل بالقناة الى المصق الذي سيسمح لها باستقبال البواخر التي يبلغ غاطسها ٣٧ قدما في حين أن أضخم البواخر المسنوح بمروورها في الوقت الحاضر لا يتجاوز غاطسها ٣٥ قدما .

تعميم نظام الائتمان الزراعي والتعاوني

في جميع قرى الاقليم الجنوبي في مستهل عام ١٩٦١

بدأ بنك التسليف الزراعي والتعاوني اعتباراً من مستهل سنة ١٩٥٧ في تنفيذ نظام الائتمان الزراعي والتعاوني في قرى ثلاثة مراكز هي: ميت غمر وشبين الكوم والمنيا . وعندما أبرزت النتائج الأولى للتنفيذ اقترها في التيسير على الزراعة وتوفير مقومات الانتاج لهم فوجه البنك الى تعميم هذا النظام على أساس برنامج تم تنفيذه حتى آخر العام الماضي في ٨٦ مركزاً وابتنتى تنفيذه في المراكز الباقية وقررها ٣٠ مركزاً في يناير ١٩٦١ .

ويعتبر البنك عصب هذا النظام والجهاز الرئيسي في تنفيذه . فقد خصص لجمعيات الائتمان أجهزة للإشراف من بين موظفيه الذين اكتسبوا خبرة في أعمال الاقراض والتحصيل لتوجيهها ودفعها الى خدمة أعضائها بقوة .

وفر حاجات هذه الجمعيات من السلف العينية والنقدية وغيرها من مقومات الانتاج الزراعي في مقار جمعياتهم حتى يحصلوا عليها بسهولة ويسر .

استحدثت أنواعاً من القروض لتطوير وتنوع أوجه نشاط هذه الجمعيات بما يحقق تنمية الانتاج وحمايته من المصادر المستغلة . وقد حققت جهود البنك في تنفيذ هذا النظام الاهداف التي وضع من أجلها حيث أصبحت جمعيات مركز اشعاع للخدمات التعاونية ونقطة ارتكاز لاقامة المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني . وصلت الخدمات الائتمانية الى طبقة صغار الحائزين بسهولة ويسر ويدل على ذلك :

* زيادة قيمة السلف والمساحات المخدمة في ظل هذا النظام زيادة كبيرة بالمقارنة بنظيرتها قبل تنفيذه .

* تفوق نسبة الزيادة عدد المستفيدين من هذه السلف عنها للمساحة المخدمة مما يدل على انها قروض صغيرة الحجم استفاد منها صغار الحائزين .

هذا ولا يدخر البنك وسعاً في سبيل تعميم هذا النظام وتوفير مقومات التنفيذ السليم له أيماناً بأهميته في اقامة المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني .

مطبع

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

ت ٤٥٢٤٦ - ٤٥٤٠٥

كتب ثقافية

تقدم يوم الخميس القادم

٢٠ يوليو سنة ١٩٦١

مولد بلا عروسة

وقصص أخرى

بقلم
أحمد عادل

الكتاب ٢٢٠ الثمن ٣ قروش

صدر يوم الاحد ١٦ يوليو (تموز) ١٩٦١

الدار القومية للطباعة والنشر

شركة ذات مسئولية محدودة

١٥٧ ش عبيد - روض الفرج

ت ٥٣٤٦ - ٥٤٠٥